نفي الشيء بإيجابه في البناء البلاغي

الأستاذ المساعد الدكتور
حميد صباحي گراغاني
جامعة الشهيد باهنر – كرمان ـ إيران
احمد محمدي نژادپ اشاكي
طالب مرحلة الدكتوراه فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الفردوسي ـ مشهد إيران
(الكاتب المسئول)
a.mohamadi.np@gmail.com

The Negation of Something by its Acceptance in Rhetorical Structure

Asst. Prof. (PhD) Hameed Sabahi Graghani
Al-Shaheed Bahnar University/ Iran
Ahmed Muhamadi Nejad Ashaki
(PhD) Candidate in Arabic Language and Literature/
Firdusi University/ Mashhad - Iran

الملخص:

إن نفي الشيء بإيجابه ظاهرة عامة في كل لغات الحية و منها عربية، فلا يمكن فهم النص الا بدرك مواقعه في الجملة و تقديرها، لأنه يودي إلى التقديرات المختلفة لتلقي المعاني المختلفة و احيانا المتناقضة. يطلق بعض علماء البيان على الفن اسم عكس الظاهر وبعضهم يسميه نفي الشيء بايجابه أو نفي الشيء إثبات لضده ويعدّ هذا الباب من المبالغة، وليس بها مختصاً، إلا أنه من محاسن الكلام. نفي شيء بإيجابه هو أن يثبت المتكلم شيئًا في ظاهر كلامه، فإذا تأملته وجدت باطنه نفياً، وظاهره إيجاباً. يعدّه بعض العلماء من مستطرفات علم البيان وبعضهم يضعونه ضمن علم البديع. هذا الاسلوب يعتبر من الاساليب الادبية التي كسر بناء المرسوم للكلام وتسبب للمخاطب الروعة والاسلوب يطلب دقة القاري وسبب ذلك أن الفهم يمكن بقرينة خارجة عن دلالة لفظه على معناه وما كان عاريا عن قرينة فإنه لا يفهم منه ما أراد قائله أو يفهم منه فهما ناقصا. يمكن القول إنّ نفي الشيء بإيجابه يمثل ضرباً من التغيير في الدلالة أو المعنى حيث يعمل هذا الأسلوب على منح الجملة معنى اضافةً إلى معناه المعجمي فمن هذا الوجه يدخل هذا الأسلوب في باب المجاز. حيث أنّ القرينة في هذا الأسلوب ليست قرينة صارفة ومانعة من ارادة المعنى الأصلي فيمكننا أن نلحقه بالكناية. حاولنا من خلال هذا المقال أن نبين هذا الفن من خلال منهج استقرائي. اذن لابد من البحث مع دراسة تعاريفه وسير تطوره في سطور الكتب البلاغية وشواهده في القرآن والشعر العربي.

الكلمات الرئيسة: البلاغة - نفي الشيء بإيجابه - **نفي الشيء** إثبات لضده - عكس الظاهر.

Abstract:-

Nafy al Shey Beijabe is a figure of speech that exists in all languages especially Arabic and understanding of the text will be possible only by understanding its meaning and role in the sentence. And that is because different and sometimes conflicting concepts can be interpreted at the same time.

Some people call this figure of speech as "Aks ol Zaher" , Nafy al Shey Beijabe or Nafy al Shey Esbat al Zeda. Some others consider it as exaggeration, while the other people consider it a subset of rhetorician.

Nafy al Shey Beijabe means that the speaker proves something in his speech, but after deliberation, we realize that despite the appearance of his speech was to prove his words, but in fact the essence of his word rejects it. For this reason, some researchers consider it as a subset of prosody and some others consider it as rhetorician.

This literary style interrupts the typical structure of time and makes the audience excited because of the analogies that are led to the original meaning of the word when they are put together by the listener. Perhaps it can be said that Nafy al Shey Beijabe is a kind of change in meaning and concept that gives additional meaning to the sentence and is something beyond its lexical meaning. For this reason, this figure of speech is also considered as trope. Since considering its secondary meaning does not ignore its initial meaning, it can be said that this figure of speech is considered as irony. This paper uses a descriptive-analytical method to study Nafy al Shey Beijabe. Thus, after the introduction of this figure of speech and its progress and evolution in literary books, the Qurnaic and poetry samples will be discussed.

Keywords: rhetorician , Nafy al Shey Beijabe , Nafy al Shey Esbat al Zeda , Aks ol Zaher.

المقدمة:ـ

لكل لغة وظيفة أساسية كما يري الفيلسوف الامريكي "جون ديفي" و هي وظيفة التواصل و التفاهم بالتعبير عن التجارب و العواطف و المشاعر و الاحاسيس الذاتية. هذا وقد يشارك بها الشخص افكاره و مشاعره مع الآخرين. فالتعبير لا يكون إلا ضربا من التواصل؛ اذ لولا اللغة لبقيت تلك التجارب و المعلومات و المشاعر و الاحاسيس والعواطف رهينة لدى صاحبها لا يستطيع ابرازها و نقلها إلى الآخرين.

الكلمة بائتلافها بالأخرى داخل الجملة أو النص تساهم في صنع المعنى وترسيم الصور. نفي الشيء بإيجابه أحد مظاهر الاسلوب اللغوي و البياني لتعبير عن هذه التجارب الذاتية. فالفن فن ظهر ضمن أفنان البياني و البديعي و يدرس كيف يطفو مقاصد المتكلم ونواياه على سطح هو يثبت شيئًا في ظاهر كلامه، وينفي ما هو من سببه مجازًا، والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبته، يبحث هذا المقال في ضوء هذا الفن عن امكانيات التعبيرية الكامنة من خلال الأنماط التركيبية التي تستشهد بها كالشاهد من الشواهد البلاغية التي مؤثرة في المتلقي. أما بالنسبة لخلفية البحث فبعض النقاد و البلاغيين قد عالجوه في كتبهم. منها ابن اثير، ابن رشيق، حموي الذين حاولوا أن يشرحوا هذا الفن.

تكمن اهمية الدراسة على بُعدين: نظري و تطبيقي، فأمّا النظري؛ فيقف على الجوانب النظرية الّتي تتعلق بنفي الشيء بإيجابه مصطلحاً و علاقته بالمجاز ودور السياق فيه. اما البعد التطبيقيّ فهو يقوم على رصد بعض مواطنه في الشعر وفي الآية القرآنية.

تكمن أهمية الموضوع في أنّها بمراجعة أدبيات الموضوع وخلفيته في العربية، يلحظ ابتداءً، ورود إشارات مبثوثة في الكتب البلاغية، تُلمح إلى نفي الشيء بإيجابه مصطلحاً، ولكن لم يلحظ دراسة مستقلة تتناول هذه الظاهرة. لذلك تهدف هذه الظاهرة إلى الكشف عن هذا الأسلوب في اللغة العربية و رصد بعض مواطنه في القرآن الكريم والشعر.

نفي الشيء بإيجابه في التراث العربي:

ذكره بهذا الاسم ابن رشيق، في العمدة، و ابن ابي الإصبع، و تابعه الحلبي والحموي والنويري (ابن رشيق، ١٩٨١، ج٢: ٨٠)؛ (الحموي: ٢٨٧)؛ (ابن ابي الإصبع، ١٩٦٣:

٣٧٧) لهذا الفن تسمية أخرى وهي: عكس الظاهر. وأما ابن أثير فيسميه(عكس الظاهر) وانه قال: وهو نفي الشيء بإثباته وهو من مستطرفات علم البيان وذاك أنك تذكر كلاما يدل ظاهره أنه نفي لصفة الموصوف وهو نفي للموصوف أصلا. و قد تابعه على ذلك ابن النقيب، بعد ان قدّم في كلامه ما يفسر هذه التسمية، حيث قرر ان ثبوت الخاص يدل على ثبوت العام، ولا يدل نفيه على نفيه. (ابن نقيب، ٣٨٣) فلما كان هذا الاسلوب ينفي الخاص في ظاهره، والعام في مراده، كان عكساً للظاهر.

ويسمى هذا الاسلوب أيضاً (نفي الشيء بنفي لازمه)، لأن القيد ينزل فيه منزلة لازم الذات المنفية في دلالة نفيه على نفيهما معا. (انوار الربيع، ج٤: ٣٦٤)

قال السيوطي: هذا النوع يورده المنطقيون في كتبهم و يعبرون عنه بعبارة على اصطلاحهم و يمثلون له بقولهم: ((ما في الدار زيد)) و يقصدون عدم وجود زيد في الدنيا اصلا فإذا وقع لارباب الحديث و السنة مثل هذا فانهم يتحاشون عن التعبير عنه بإصطلاح المناطقة و قد وسع الله لهم في العبارة فليورده على اصطلاح اهل البديع. (مطلوب، ١٩٨٧، ٣: ٣٣٦) أهل البديع في تفسير هذا النوع عبارتان إحداهما ما فسره به ابن رشيق في العمدة، وهو أن يكون الكلام ظاهره إيجاب الشيء، وباطنه نفيه، بأني نفي ما هو من سببه كوصفه وهو المنفي في الباطن. والثانية ما فسره به غيره، وهو أن ينفى الشيء مقيدا والمراد نفيه مطلقا مبالغة في النفي وتأكيدا له. وسماه بعضهم: نفي الشيء بنفي لازمه.(ابن معصوم الحسني، ج:١ ص٣٥٥).

أما ابن ابي الاصبع فيزيد المسالة تفصيلا فيقول: هو ان يثبت المتكلم شيئاً في الظاهر كلامه، بشرط ان يكون المثبت مستعارا، ثم ينفي ما هو من سببه مجازا، والمنفي حقيقة في باطن الكلام هو الذي اثبته لا الذي نفاه.

وعلى الرغم من تنوع العبارات فان المراد واحد غير ان كل واحد نظر إلى الموضوع من وجهة نظره. فاما ابن الرشيق فنظر اليه نظرة عامة، من حيث ما يثبتها ظاهر الكلام و ينفيها باطنه. و المراد بباطنه هو معنى المنطوي تحت اللفظ و الذي يدل عليه السياق أو القرينة.

فاما ابن اثير وجد ان ابهام الاثبات يحصل من نفي الموصوف، لان نفيه موصوفا يقتضي اثباته حال تجرده من الوصف، الذي اقترن به في جملة النفي. فجعل مدار المسالة حول نفي

الموصوف، و عليه جري كلامه.

وقد الحقه بعض العلماء بالكناية، و بعضهم بالإيجاز، والآخرون بالمبالغة. ذكر ابن رشيق نفي الشيء بايجابه بالباب الثلاثين في قسم البلاغة قبل باب الاطراد و بعد باب التكرار، فإنه قال: وهذا الباب من المبالغة.(ابن رشيق، ١٩٨١، ج٢: ٨٠)، ذكره الحموي في خزانة الادب، قبل باب الإيغال و بعد باب ائتلاف المعنى مع المعنى(الحموي: ٢٨٧) ذكره ابي اصبع في كتابه تحرير التحبير هذا الفن قبل باب التكرار و بعد باب الايداع فانه قال كما يقول الحموي.(ابن ابي إصبع، ١٩٦٣: ٣٧٧) قال السيوطي: هذا النوع يورده المنطقيون في كتبهم و يعبرون عنه بعبارة على اصطلاحهم و يمثلون له بقولهم: ((ما في الدار زيد)) ويقصدون عدم وجود زيد في الدنيا اصلا فإذا وقع لارباب الحديث و السنة مثل هذا فانهم يتحاشون عن التعبير عنه بإصطلاح المناطقة و قد وسع الله لهم في العبارة فليورده على اصطلاح اهل البديع. (مطلوب، ١٩٨٧، ٣: ٣٣٦)

و ذكر الفرق بين الفن المناقضة وبين الفن نفي الشيء بإيجابه أن هذا الباب ليس فيه نفي ولا إيجاب، ونفي الشيء بإيجابه ليس فيه شرط ولا معناه.

علاقته بالمجاز:

نفي الشيء بإيجابه دال على مدلولين مختلفين: مدلول حقيقي و مدلول مجازي و كلا المدلولين مرادان، فالنص هو الدالّ و المعنى الدلالي هو مدلول النص و هذا لا يعني أنّ الدال يختلف عن المدلول في هذا الأسلوب فالدال يحمل معنيين أحدهما قريبٌ و الأخر بعيدٌ و كلا المعنيين يراد بهما المتكلم.

بناءً على هذا يمكن القول إنّ نفي الشيء بإيجابه يمثل ضرباً من التغيير في الدلالة أو المعنى حيث يعمل هذا الأسلوب على منح الجملة معنى اضافةً إلى معناه المعجمي فمن هذا الوجه يدخل هذا الأسلوب في باب المجاز.

إنّ المتتبع لدراسات اللغويين القدماء يجد أنّ بعضهم ألحقه بالمجاز و بعضهم بالكناية. على سبيل المثال، يعتبر ابن ابي الإصبع هذا الأسلوب من المجاز (ابن ابي الإصبع، د.ت: ١٥٢) و يجعله ابن عاشور من باب الكناية ((و إنما يكون ذلك بطريق الكناية)) (ابن عاشور، ١٣٩٣ هـ: ١/ ٦٩٨).

والكناية و المجاز يوافقان في ارادة معنى غير الّذي يقتضيه ظاهر اللفظ و يكون الفرق بينهما أنّ القرينة في المجاز تمنع من ارادة المعنى الأصلي وفي الكناية لا تمنع.

حيث أنّ القرينة في هذا الأسلوب ليست قرينة صارفة ومانعة من ارادة المعنى الأصلي فيمكننا أن نلحقه بالكناية.

أمّا الإختلاف ناجم عن أنّ المتقدمين من البلاغيين و اللغويين لم يضعوا تعريفاً محدداً على طريقة السكاكي وعلى هذا فإلحاق هذا الأسلوب بالمجاز ليس مراعي فيه الفرق بين الكناية و المجاز، حيث يقول ابن ابي الإصبع ((المجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة: كالإستعارة، والمبالغة، والإشارة، والإرداف، والتمثيل، والتشبيه، وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد)) (ابن ابي الإصبع، ١٩٦٣ هـ: ٤٥٧).

ممّا تقدّم نستطيع أن نقول إنّ الخروج في هذا الإسلوب عن ظاهر اللفظ يجعله من المجاز بمعناه العام عند المتقدمين و يجعله من الكناية على وجه التحديد عند المتأخرين.

شواهده في القرآن الكريم:

يتجلى الفن نفي الشيء بإيجابه في القرآن بشكل واضح. ولكن لأجل عرض نموذج منه نأتي في هذا المقام بآيات:

١- نفي الشفيع المطاع في ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر: ١٨): فإن ظاهر الكلام نفي الذي يطاع من الشفعاء، والمراد نفي الشفيع مطلقًا، ويحتمل أن يتناول النفي الشفاعة والطاعة معاً، وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة، كما تقول: ما عندي كتاب يباع، فهو محتمل نفي البيع وحده، وأن عندك كتاباً إلا أنك لا تبيعه، ونفيهما جميعاً، وأن لا كتاب عندك، ولا كونه مبيعاً. فإن قلت: فعلى أي الاحتمالين يجب حمله؟ قلت: على نفي الأمرين جميعاً، لأنّ الشفعاء هم أولياء الله، وأولياء الله لا يحبون ولا يرضون إلاّ من أحبه الله ورضيه، وأنّ الله لا يحبّ الظالمين، فلا يحبونهم، وإذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم. وعن الحسن رضي الله عنه: والله ما يكون لهم شفيع البتة، فإن قلت: الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه، فما الفائدة في ذكر هذه الصفة ونفيها؟ قلت: في ذكرها فائدة جليلة، وهي أنها ضمت إليه،

ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة، لأن الصفة لا تتأتى بدون موصوفها، فيكون ذلك إزالة لتوهم وجود الموصوف، فكذلك قوله: ﴿وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ معناه: كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع، فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع: وضعاً لانتفاء الشفيع موضع الأمر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي أن يتوهم خلافه. (تفسير زمخشري)

٢- نفي نفع الشفاعة في قوله ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (المدثر: ٤٨) أي لا شافعين لهم فتنفعهم شفاعتهم أو لم يأذن ا... لهم باشفاعة بدليل فما لنا من شافعين.

٣- نفي الالحاف في السؤال ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ (البقرة: ٢٧٣) فإن النفي في ظاهر الكلام الإلحاف في السؤال، لا نفس السؤال مجازاً، و النفي في الباطن حقيقةً نفس السؤال، إلحافا كان او غير الحاف.

٤- نفي زينة المتبرجات ﴿غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾. (النور: ٦٠) والمراد هنا في الآية والقواعد من النساء اللاتي لا زينة لهن فيتبرجن بها لأن الكلام فيمن هي بهذه المثابة، وكأن الغرض من ذلك، أن هؤلاء استعفافهن عن وضع الثياب خير لهن، فما ظنك بذوات الزينة من الثياب، وأبلغ ما في ذلك، أنه جعل عدم وضع الثياب في حق القواعد في الاستعفاف، إيذانا بأن وضع الثياب لا مدخل له في العفة، هذا في القواعد فكيف بالكواعب؟!.

٥- ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ (يوسف: ٤٤) أُريدَ نفيُ الأحلام الباطلة خاصة، كأنهم قالوا: "لا تأويل للأحلام الباطلة فنكون بها عالمين، فتأمل هذا أيها القارئ."

٦- نفي البصر من أعينهم و نفي السمع عن آذانهم ﴿...أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ (الاعراف: ١٩٥) فإن ظاهر هذا الكلام يقتضي نفي هذه الجوارح، وملزومه يقتضي إثبات الإلهية لمن يكون له مثل هذه الجوارح؛ وباطن الكلام يوجب نفي الإلهية عمن يكون له، فضلاً عمن لا يكون له، لأنه المراد.

٧- نفي العلم في الاتخاذ الولد ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ (الكهف: ١١٠) فاتخاذ اللّه ولدا في نفسه محال، فكيف قيل ((ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ)).معنى ذلك: ما لهم به من علم، لأنه ليس مما يعلم لاستحالته، وانتفاء العلم بالشيء وإمّا للجهل بالطريق الموصل، وإمّا لأنه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به. فيري ابن أبي الأصبع: ورد الكلام على سبيل التهكم والاستهزاء بهم.

٨. نفي الالتهاء بالتجارة ﴿لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (النور: ٣٧) الفكر مقبولة وهي أن أهل الجنة ليس لهم تجارة ولا بيع والآية لما نفت إلتهاءهم بالتجارة توهم السامع بأن لهم تجارة ولكنها لا تلهيهم عن ذكر الله لشدة ارتباطهم بالله تعالى بينما المراد في الآية نفي التجارة بالمرة وليس نفي اللهو بها فقط يعني سالبة بإنتفاء الموضوع.

٩- نفي الصفة الإسمان ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (الغاشية: ٧) فقوله: ولا يغني من جوع، جملة لا يمكن طرحها من الكلام؛ لأنه لما قال: لا يسمن، ساغ لمتوهم أن يتوهم أنَّ هذا الطعام الذي ليس من جنس طعام البشر انتفت عنه صفة الإسمان، ولكن بقيت له صفة الإغناء، فجاءت جملة: ولا يغني من جوع تتميما للمعنى المراد، وهو: أن هذا الطعام انتفت عنه صفة إفادة السمن والقوة، كما انتفت عنه صفة إماطة الجوع وإزالته.

١٠- نفي صفة العلم لهم ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٠٢) لما كان علماً لم يعملوا به كانوا كأنهم لا يعلمون. ذكر ابن فارس في كتابه: ومن هذا الباب اي نفي الشيء بإيجابه أو قريبٌ منه.

١١. المائدة ١١٦: يجوز ان يكون القصد نفي النفس عنه تعالي، فكانه قال: تعلم ما في نفسي ولا نفس لك فاعلم ما فيها.

١٢- نفي الحقانية في قتلهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (أل عمران: ٢١) لقَدْ كان اليهود يَقْتُلُونَ النبيّين بغير حَقٍّ، ولا يُمكِنُ أن يكون قَتْلُ النبيين بحقٍّ، لكنّ إثباتَ هذا القيد يُؤَكّد مَبْلَغَ

جُرْمِهِمْ. وهذا التحدّي يتضمَّن تأكيد نفي وجود برهان يُثْبت ادّعاءهم، وبالتالي يؤكّد نفي وجود أيّ شريك لله عزَّ وجلَّ.

١٣- ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾ (النساء: ١٩) أن نفي الحل يراد به التحريم؛ وذلك لأن نفي الشيء إثبات لضده.

١٤- نفي الظلم على الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء: ٤٠) وهذا النفي يتضمن إثبات كمال العدل، وليس المراد به مجرد انتفاء الظلم؛ لأن مجرد انتفاء الظلم لا يدل على كمال، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ (النحل: ٦٠) أي: الوصف الأعلى. إذاً: فقوله عزّ وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ليس المراد به مجرد نفي الظلم عن الله، بل المراد به إثبات كمال العدل، وأنه لكمال عدله لا يظلم، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه: ١١٢)، وهذه القاعدة تكون في جميع ما نفى الله عن نفسه، فكل ما نفى الله عن نفسه، فإنه لا يراد به مجرد النفي، إنما المراد به إثبات كمال الضد، وإنه لكماله في ضد هذه المسألة انتفت عنه، ومن ذلك قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (ق: ٣٨) أي: من تعب، لكمال قوته.

١٥. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة: ٢٦) الآية تشعر بصحة نسبة الحياء اليه تعالى، لأنه في العرف لا يسلب الحياء الا عمن هو شانه، على ان النفي داخل على كلام فيه قيد، فيرجع إلى القيد فيفيد ثبوت اصل الفعل، او امكانه لا اقل، و للناس في ذلك مذهبان، فبعض يقول بالتأويل، اذ الانقباض النفساني مما لا يحوم حول حظائر قدسه سبحانه، فالمراد بالحياء عنده، الترك اللازم للانقباض، وجوز جعل ما هنا بخصوصه من باب المقابلة لما وقع في كلام الكفرة، بناء على ما روي انهم قالوا: ما يستحي رب محمد ان يضرب الامثال بالذباب والعنكبوت.

١٦- نفي البصر في الاعين ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (الانعام: ١٠٣) لولا جواز إدراك الأبصار له لم يصح نفيه عنه، فأذعنوا لما قال، واستحسنوه. (المقري التلمساني: نفخ الطيب في غصن الاندلس الرطيب ص٥٩٣٦).

١٧- نفي الوهيت بغيره ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: ١٩)سألت الشيخ العالم بقية السلف مؤلف الرسالة المكية حين لقنني كلمة لا إله إلا الله وبين كيفية النفي والاثبات، فقلت إذا لم يبق في قلب السالك وجود الغير فما يبقى بعده، فأجاب الشيخ رحمه الله ما دام وجود السالك باقياً لا بد من النفي لمن اعتبر الوجود حتى تزول الاثنينية، والجواب الثاني لا بد للسالك من النفي لأن نفي الوجود في محل الجمع، وأما في التفرقة اثبات الوجود بل اثبات وجود جميع الموجودات لأن النظر إلى السكون جمع والسكون تفرقة فلا بد أن ينفي الموجودات ويدخل في فراديس الجمع حتى يصير مستهلكاً في الجمع، وهذا المقام عزيز لا يصل إليه إلا الأفراد الموحدون العارفون لأن الجمع والتفرقة يتنافيان إلا أن المشايخ السالكين نظرهم إلى الجمع أكثر وبركتهم في العالمين أوفر. (نزهه الخواطر و بهجة المسامع و النواظر، عبدالجي الحسني، ص١٠٤٢).

١٨- (نفي السؤال عن الفقراء): (البقرة: ٢٧٣): وصفهم في الآية نفسها بالاستعفاف، الذي تخفي معه حاجتهم حتى يظنهم الجاهل اغنياء.

١٩- (نفي ذوق اهل الجنة فيها موتا): (الدخان: ٥٦) لثبوت انتفاء الموت اصلا في ذلك المقام.

شواهده في الشعر:

فن نفي الشيء بإيجابه هذا هو الفن الذي يستعمل الشعراء في قصائدهم. ولكن لأجل عرض نموذج منها نأتي في هذا المقام بأبيات:

١- قال امرؤ القيس:

على لاحب لا يهتدى بمناره إذا سافه العود النباطي جرجرا

قال الاعلم: و قوله اذا سافه العود أي اذا شمّه المسن من الابل صوّت، و رغا بعده، وما يلقي من مشقته. والنباطي منسوب إلى النبط: أشد الابل و اصبرها، واللاحب: الطريق،. المعنى: انه طريق غير مسلوك فلا علم فيه (ديوانه، ٦٦)

فظاهر الكلام يقتضي اثبات المنار لهذه الطريق و نفي الهداية به مجازا، و لكن باطنه في

الحقيقة انه لا منار فيه فيهتدي بذلك المنار.

٢- وكذلك قول زهير:

بـــأرض خـــلاء لا يســـد وصـــيدها علـــي، ومعـــروفي بهـــا غـــير منكـــر

(جمهرة القرشي، ج١: ١١٩)

الوصيد في الاصل: فناء الدار و البيت، و منه قوله تعالي: و كليهم باسط ذراعيه بالوصيد)) و الأصيد لغة فيه حكاها الفراء. فأثبت لها في اللفظ وصيداً، وإنما أراد ليس لها وصيد فيسد على، إذ لامعني لأن يكون لها وصيد لا يسد عليه، بل يستحيل عقلا ان يكون للأرض الخلاء باب.

٣- وقول السموأل:

فـــنحن كمـــاءِ المُـــزن مـــا في نِصـــابنا كهـــامٌ ولافينـــا يعَـــدُّ بخيـــل

قال المرزوقي: و قوله "ما في نصابنا كهام" اي ليس فينا كليل الحد، و لكن كل منا ماض نافذ، ولا فينا بخيل فيعد. و هو نفي للبخل راسا، و ليس يريد ان فيهم بخيلا و مع ذلك يعد.

٤ - ويتصل بهذا قول الزبير بن عبد المطلب يذكر عميلة بن السباق بن عبد الدار، وكان نديماً له وصاحباً:

صـبحت بهـم طلقـاً يـراح إلى النـدى إذا مـا انتشـى لم تحتضـره مفـاقره

ضـعيفاً بحـث الكـأس قـبض بنانـه كلـيلاً علـى وجـه النـديم أظـافره

فظاهر كلامه أنه يخمش وجه النديم، إلا أن أظافره كليلة، وإنما أراد في الحقيقة أنه لا يظفر وجه النديم ولا يفعل شيئاً من ذلك، وكذلك قوله " لم تحتضره مفاقره " أي: ليس له مفاقر فتحتضره. فهاهنا ظاهر للكلام يخالف حقيقته، و عند ابن ابي الاصبع مجاز يخالف الحقيقة.

٥- وقال أبو كبير الهذلي يصف هضبة:

وعلـــوت مرتقبـــاً علـــى مرهوبـــة حصـــاء لـــيس رقيبـــها في مثمـــل

عيطـــاء معنقـــة يكـــون أنيســـها ورق الحمـــام جميعهـــا لم يؤكـــل

المترقب: اسم المكان من الارتقاب، و هو الصعود في الرأس جبل أو حصن، وضبطه في اللسان على أنه اسم فاعل بكسر القاف، وهو وجه، والمثمل: الملجأ. والجحيم: النبت الذي طال بعض الطول ولم يتم. يريد أنه ليس بها جميم فيؤكل، يدل على ذلك قوله في البيت الأول " حصاء " وهي التي لا نبت فيها.

٦- وقول أبو ذؤيب يصف فرساً: (ديوان الهذليين، ج١: ١٦)

متفلق أنساؤها عن قانئ ... كالقرط صاو، غُبْرُهُ لا يُرْضَعُ

فلم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع، لكن أراد أنها لا لبن لها فيُرضع، لأن مراده انها لم تحمل قط، و هذا اشدُّ لها.

٧- والمعيب من هذا الباب قول كثير يرثي عزة صاحبته:

فهلا وقاك الموت من أنت زينه ... ومن هو أسوأ منك دلاً وأقبح؟

لأنه قد أوهم السامع أن لها دلاً سيئاً، ولكن غيره أسوأ منه وأقبح(الهمدة، ٢: ٧١٤)، فكيف إن كان القبح راجعاً عليها لا على دلها، وليس هذا في شيء من قوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ لأن هذا إشكال فيه.

٨- من شواهد هذا النوع، قول مسلم بن الوليد:

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ... ولا يُسمح عينيه من الكُحُل

فإن ظاهر الكلام نفي عبق الطيب ومسح الكحل، والمراد نفي الطيب والكحل مطلقًا.

قال المدني: قصده نفي الطيب و الكحل مطلقا، و لذلك قال الممدوح لما انشده الشاعر هذا البيت لقد حرمتني الطيب و الكحل مابقيت(انوار الربيع، ٤: ٣٦٦)

٩- ومثله قول أبي الطيب المتنبي:

أفدى ظباءَ فلاةٍ ما عرفنَ بها ... مضغ الكلام ولا صبغَ الحواجيب

ولا برزنَ من الحمام مائلةً ... أوراكهن صقيلات العراقيب

فظاهر الكلام عدم بروزهن من الحمام على تلك الهيئات، والمراد، في باطن الكلام،

عدم الحمام مطلقًا، اذ المعنى ان حسنهن لا يحتاج إلى تصنع ولاترية بدخول (خزانة الادب للحموي، ٣: ١٦٣).

١٠- ولهذا قال ذو الرمة:

بـــالله يـــا ظبيـــات قلـــن لنـــا ليلاي مـــنكن أم ليلـــى مـــن البشـــر

والقصد أن حسنهن لم يفتقر إلى تصنع ولا إلى تطرية بدخول الحمام.

١١- وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع، يقول فيه عن النبي ﷺ:

لا يهـدم المـن منـه عمـر مكرمـة ولا يســـوء أذاه نفـــس متـــهم

فظاهرة الكلام، في بيت الشيخ صفي الدين الحلي، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يتبع المكرمة بمن وحاشاه من ذلك، ولا يصدر منه لنفس متهم إساءة. والمراد، في الباطن، نفي المن والإساءة مطلقًا، فإن مقام النبي -صلى الله عليه وسلم- في الكرم والحلم، فوق ذلك. والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم.

١٢- قول زهير:

قـف بالـديار الـتي لم يعفهـا القـدم بلـــي وغيرهـــا الارواح والـــدِّيم

فظاهر الكلام يقتضي اثبات القدم لهذه الطريق و نفي العفا به مجازا، و لكن باطنه في الحقيقة انه لا قدم فيه فيعفو بذلك القدم.

١٣- وقول اعشي باهلة: (الاصمعيات، ٩٠)

لا يغمـز الســاق مـن أيـنٍ ولا وصـبٍ ولا يغـضُّ علـى شُرسـوفه الصَّـفر

معناه: ليس بساقه أينٌ ولا وصبٌ فيغمزَها.

١٤- ومنه قول النابغة:

يحفُّـــه جانبـــا نيـــقٍ وتُتبِعُـــهُ مثـلَ الزجاجـةِ لم تُكْحَـلْ مـن الرَّمَـدِ

(ديوانه: ٢٣)

يقول الاعلم الشنتمري لم تُكحل من الرمد أي لم يصبها رمدٌ فتُكحل، ويحتمل أن

يريد انها كحلت بغير الرمد؛ لزينة ونحوه(همان) قال الطاهر بن عاشور أي عيناً لم ترمد حتى تكحل؛ لان التكحيل لازم للعين الرمداء (التحرير و التنوير، ج١: ٤٦٦- پايان نامه)

١٥- ومنه قول اللعين المنقري:

ما في الدوابر من رجلي من عقل عند الرهان ولا أُكوَى من العَفَلِ

لم يرد أن به عفلا لكنه لا يكوى منه، إنما أراد أنه ليس به عفل فيحتاج إلى أن يكوى منه.

١٦- ومنه قول المزرد بن ضرار:

مقربة لم تقتعد غير غارة ولَمْ تَمْتَرِ الأَطْباءَ مِنها السَّلائِلُ

لم يرد أن لها سلائل لكنها لم تمتر أطباءها، إنما أراد أنها لا سلائل لها.

١٧- و قول الشاعر (البيت منسوب في اخبار الحمقى والمغفلين، ص ١٠١)

ومن خفتُ من جوره في القضاء فما خفتُ جورك يا عافية

فظاهر الكلام ينتفي الخوف و ان وجد الجور، و لكن باطنه في الحقيقة انه لا خوف فيه فيجور بذلك الخوف.

١٨- ومنه قول عمرو بن أحمر:

لا تفزع الأرنب أهوالها ولا ترى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرْ

قال السكري أي انه ليس ثمة هولٌ تفزع منه الارنب، (شرح اشعار الهذليين، ١: ٣٦- پايان نامه) وكذا لم يرد ان بها ضبا ولكنه غير منحجر.

وهذا المعنى الاخير ذكره ابن اثير، ثم عقب عليه بعد كلامه عن قرينة، انه لا قرينة تخصصه، حتى يفهم منه ما فهم من الاثر، المروي عن علي عليه السلام بل المفهوم منه عنده، انه كان هناك ضبٌ ولكنه غير منجحر(المثل السائر، ج٢، ٢٠٣)

١٩ - قول النابغة الجعدي (ديوانه: ١٤):

سبقتُ صياحَ فراريجها وصوت نواقيسَ لم تضربِ

قال السكري: وإنما أراد ذاك الوقت، وليس ثم فراريج ولا نواقيس".

و قال المرزوقي "فنبه بقوله (لم تضرب) على انه كان منتظرا لا واقعا.(شرح الحماسة للمرزوقي، ٤: ١٨٨٤)

٢٠ - ومنه قول الفقعسي على أحد التفسيرين فيه(شرح الحماسة ابي تمام، ٢: ٢٨٨)

أيبغـــــي آل شـــــداد علينـــــا ومـــا يُرْغَـــى لِشَـــدَّادٍ فَصِـــيلُ

اذا اختَلَّ الرجل من العرب قَصد الأحياء و معه الحبل، فيعطيه هذا البعير، و هذا الشاة، فيقال لمعطي البعير "أرغي" و لمعطي الشاة "أثغي" يقول: أيبغي هؤلاء علينا و ما اعطوا قط فصيلاً، و هو ولد الناقة اذا فُصل عن امه، و انما يرغوا البعير، و تثغوا الشاة، لانهما يشدان في ذلك الحبل ولم يعرفاه من قبل.(معاني ابيات الحماسة: ٦٣) ويجوز ان يكون قوله " وما يُرْغَى لِشَدَّادٍ فَصِيلُ "يراد ما لهم فصيل فيرغى.

٢١ - ومنه قول إياس بن مالك:

فمـــا كلـــت الأيـــدي ولا انـــأطر القنـــا ولا عثَـــرتْ منـــا الجُـــدودُ العـــواثرُ

والمقصود أنه ليس لهم جدود عواثر فتعثر بهم، لا أن لهم جدودا هذه صفتها لكنها لم تعثر بهم ذلك اليوم.

٢٢ - قول المتنبي(شرح ديوانه للعكبري، ١: ٣٠٤):

يعطـــي فـــلا مَطلُـــهُ يكـــدِّرها بهـــا ولا منُّـــهُ ينَكـــدُها

قال ابن الشجري: فليس يريد بقوله ان له مَطلاً لا يكدر، و منّاً لا ينكد، فحقيقة المعنى انها اياد لا يكدرها مطل، ولا ينكدها منٌ.

فهـلا وقـاك المـوت مـن انـت زينـه ومـن هـو أسـوا منـك دالا واقـبحُ

٢٣- ومنه قول العتبي:

وقـد كنـت ذا نـاب وظفـر علـى العـدى فأصـبحتُ لا يخشـون نـابي ولا ظُفْـري

قال المرزوقي: اني كنت تام السلاح، وذِكرُ الناب والظفر مثلٌ ضربه لسلاحه، وآلاته التي كان يدفع الخصوم بها، (شرح الحماسة للمرزوقي، ٣: ١٠٧٣) وأراد أنه لم يبق له ناب ولا ظفر، ولم يرد أن له نابا وظفرا لا يخشونها.

٢٤- وقول امرئ القيس (على لاحب لا يهتدي بمناره) أي لا منار ولا اهتداء. وقول سويد بن أبي كاهل:

من أناس ليس في أخلاقهم ... عاجل الفحش ولا سوء الجزع

أي لا فحش ولا جزع أصلا.

٢٥- ومنه قول أبي الطيب المتنبي:

ما أوجه الحضر المستحسنات به ... كأوجه البدويات الرعابيب

حسن الحضارة مجلوب بتطرية ... وفي البداوة حسن غير مجلوب

٢٦- بيت بديعية ابن حجة قوله:

لا ينتفي الخير من إيجابه أبدا ... ولا يشين العطا بالمن والسأم

ظاهره نفي انتفاء الخير في إيجابه ﷺ، والمن والسأم في العطاء، والمراد نفي ذلك مطلقا.

٢٧- وبيت بديعية الطبري قوله:

لم ينف إيجاب ما أعطاه آمله ... بالمن مستكثرا حاشاه من وصم

مراده عدم نفي إيجاب ما أعطاه مطلقا، وإن قيده بالمن والاستكثار.

وبيت بديعيتي هو:

نفى بإيجابه عنا بسنته ... جهلا نضل به عن وأضح اللقم

ظاهره نفي الجهل الموصوف بالضلال به عن واضح سواء الصراط، والغرض نفي الجهل مطلقا. واللقم بالتحريك: وسط الطريق.

٢٨ - وبيت بديعية الشيخ إسماعيل المقري قوله:

ما راع جارا رعاه وجه حادثة ... ولا انثنى مازجا دمعا جرى بدم

قال ناظمه في شرحه: إنه نفى ارتياع جاره من وجود الحادثات فقط، فكأنها تطرقه ولا تروعه. ومراده نفي الحوادث من أصلها، والزيادة قوله: رعاه، فكأنه نفى ارتياع جار رعاه فقط، والمراد نفيه عنه مطلقا. وكذلك قوله: ولا انثنى مازجا، ظاهره نفي مزج الدمع بالدم،

والمراد نفي البكاء من أصله.

وكقوله:

لم يُشغَلَنْك عن الجهاد مكاسب ق تـــــرجو ولا لـــــهو ولا أولاد

تـــــرجو ولا لـــــهو ولا أولاد تـــــرجو ولا لـــــهو ولا أولاد

فإنه يوهم اشغال المكسب له في الجملة - كما في الأولاد - مع أنه لا كسب للخليفة.

حصاد البحث:

تكمن اهمية الدراسة على بُعدين: نظري و تطبيقي، فأمّا النظري؛ فيقف على الجوانب النظرية الّتي تتعلق بنفي الشيء بإيجابه مصطلحاً و علاقته بالمجاز و الكناية و دور السياق فيهما. اما البعد التطبيقيّ فهو تهدف هذه الظاهرة إلى الكشف عن هذا الأسلوب في اللغة العربية و رصد بعض مواطنه في القرآن الكريم و الشعر.

يطلق على الفن بعض علماء البيان اسم عكس الظاهر وبعضهم يسميه نفي الشيء بإيجابه أو نفي الشيء إثبات لضده ويعدُّ هذا الباب من المبالغة، فهو دال على مدلولين مختلفين: مدلول حقيقي و مدلول مجازي و كلا المدلولين مرادان، فالنص هو الدالّ و المعنى الدلالي هو مدلول النص و هذا لا يعني أنّ الدال يختلف عن المدلول في هذا الأسلوب فالدال يحمل معنيين أحدهما قريبٌ و الأخر بعيدٌ و كلا المعنيين يراد بهما المتكلم.

بناءً على هذا يمكن القول إنّ نفي الشيء بإيجابه يمثل ضرباً من التغيير في الدلالة أو المعنى حيث يعمل هذا الأسلوب على منح الجملة معنى اضافةً إلى معناه المعجمي فمن هذا الوجه يدخل هذا الأسلوب في باب المجاز. حيث أنّ القرينة في هذا الأسلوب ليست قرينة صارفة و مانعة من ارادة المعنى الأصلي فيمكننا أن نلحقه بالكناية. ممّا تقدّم نستطيع أن نقول إنّ الخروج في هذا الإسلوب عن ظاهر اللفظ يجعله من المجاز بمعناه العام و يجعله من الكناية على وجه التحديد.

قائمة المصادر والمراجع

وخير ما نبتدئ به القرآن الكريم

- ابن ابي الإصبع، بديع القرآن، تصحيح: حفني محمد شرف، القاهرة: دار النهضة.
- ـــــــــــ، ابن أبي الأصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر و بيان اعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرق، الجمهورية العربية المتحدة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية لجنة احياء التراث الاسلامي، ١٩٦٣.
- طبانة، بدوي، معجم البلاغة العربية، الطبعة الثالثة، دار المنارة، دار الرفاعي. ١٩٨٨.
- ابن اثير، ضياء الدين، المثل السائر في ادب الكاتب و الشاعر، قدمه: احمد الحوفي، بدوي طبانة، القسم الثاني، مصر: دار النهضة، ص ٢٤٨-٢٥٠.
- عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
- ابن رشيق القيرواني الأزدي، أبو على الحسن؛ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: الناشر: دار الجيل الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، ناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م.
- أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة سنن العرب في كلامها، بيروت: مؤسسة بدران.
- ابن عبد الرحيم صافي، محمود؛ الجدول في إعراب القرآن الكريم، الناشر: دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ.
- عبدالجي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر؛ الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، دار ابن حزم بيروت، لبنان، الطبعة لأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- المقري التلمساني أحمد بن محمد، نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، الناشر: دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ.
- جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦.
- ابن معصوم الحسني، انوار الربيع في انواع البديع، المحقق: شاكر هادي شُكر، مطبعة النعمان، النجف الشريف، ١٩٦٨.
- مطلوب، احمد؛ (١٩٨٧)، معجم المصطلحات البلاغية و تطورها، ج٣، مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- الهاشمي، سيد احمد؛ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع.